الطبقة العاملة الاردنية، ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠
خصائصها واتجاهات تطور بنيتها الداخلية

هاني حوراني

مقدمة

الطبقة العاملة، كما هو معروف، ظاهرة موضوعية، يشترط وجودها ظهور الرأسمالية كنمط انتاج مميز عن انماط الانتاج السابقة باستغلال قوة العمل المأجور من أجل تحقيق القيمة الزائدة.

ان تحول الطبقة العاملة من «طبقة بذاتها»، اي موجودة موضوعيا لكنها لا تعي مصالحها الخاصة ولا تناضل من اجلها، الى «طبقة لذاتها»، يتحقق في خضم نضالها ضد الرأسمالية كطبقة وكنظام اجتماعي، اي حين تعي مصالحها المميزة، وتدرك ضرورة خوض النضال لتحقيقها، وتنظم صفوفها من أجل ذلك.

ويعنينا هنا ان ندرس الخصائص الراهنة للطبقة العاملة كظاهرة موضوعية، اولا، وان نرصد اتجاهات تطورها لاستكمال صفتها البروليتارية، ثانيا. ولذلك، سوف نلجأ الى استعراض ابرز معالم التطور والنمو في البنية الرأسمالية المحلية خلال السبعينات، التي تشكل القاعدة لتطور الطبقة العاملة ونموها حجما وخصائص نوعية.

ومع ان دور الطبقة العاملة لا يتقرر، فقط، في ضوء المعايير الكمية، اي، اساسا، حجمها العددي، بل يعتمد، بالدرجة الاولى، على مستوى وعيها وانتظامها وكفاحيتها، اي درجة امتلاكها الشروط الذاتية كطبقة ثورية، فان هناك اساسا موضوعيا لاكتساب هذه الخصائص الذاتية الكفاحية بهذه الوتيرة من السرعة او تلك. فالنظام الرأسمالي، بحد ذاته، يوفر الشروط الموضوعية لامتلاك الطبقة العاملة وعيها بذاتها كطبقة مستقلة خاضعة للاستغلال، وللاتحاد والانتظام ضد الاستغلال الرأسمالي. ولذلك، تسعى هذه الدراسة للرد على المفاهيم والاراء التي تتردد في اوساط، اجتماعية متعددة، بما فيها اوساط تقدمية وديمقراطية، وتشيع احكاما غير مدققة عن مستوى تطور الخصائص الموضوعية للطبقة العاملة ودرجة اكتسابها الشروط الموضوعية اللازمة لنمو وعيها بذاتها كطبقة مستغلة. من ذلك، مثلا، الرأي الذي يخلص الى تشخيص وضع الطبقة العاملة الاردنية على النحو التالي: فهي تتصف «بصغر حجمها وجذورها الريفية القريبة وتدني تعليمها واعدادها المهني والثقافي وارتباطها بوسائل وطرق انتاج متخلفة، وتبعثرها وتشتتها على

شؤون فلسطينية العدد ١٤٠ ـ ١٤١، تشرين الثاني/ كانون الاول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٤